

دور الادب في المرحلة الثانوية والسياسات التعليمية تجاهه في تكوين الوعي القومي

محمد صالح أحمد حسن

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، بخت الرضا

مستخلص

هدفت الدراسة الى توضيح دور الادب في المرحلة الثانوية في بلورة الاماني القومية. وللوصول الى ذلك قام الباحث بتحليل مقررات المطالعة والادب في المرحلة الثانوية لمعرفة مدى اشتمالها على موضوعات تتناول قضايا سودانية. أيضا قام الباحث بعرض وتحليل آراء لتربويين ومفكرين و أدباء كتبوا حول أهمية دور الادب والسياسات التعليمية تجاهه في بلورة الأمانى القومية وبناء الشخصية الوطنية، وقد خلص الباحث الى عدد من النتائج اجابت عن التساؤلات التي طرحها الباحث، واتضح ان الادب السوداني ينبغي ان يكون هو المركز الذي تدور حوله الموضوعات، كما اتضح من خلال تحليل المقررات ان الجرعة الوطنية قليلة في محتوياتها. وقد اوصى الباحث بتعديل مفردات المطالعة والادب في المرحلة الثانوية بحيث يكون الإلطب السوداني، الكاتب السوداني، الموضوعات والقضايا السودانية هي المحور الاساسي لمحتويات تلك المفردات.

Abstract

The objective of the paper is to bring forth the role of literature in secondary education at the national level in crystallizing national expectations. The researcher analyzed the literature and reading textbooks in secondary stage to find the extent to which it contains topics about Sudanese issues, The researcher also presented and analyzed the opinions of educators , thinkers writers on the important role of literature and of educational policies towards it in the crystallization of national aspirations and the building of patriotic character. The findings arrived by the researcher where that Sudanese literature should be the locus around which topics should revolve. It also became evident through curriculum analysis that the patriotic dose is small in its contents. The researcher recommended the amendment of the contents of the secondary school Arabic reading and literature textbooks to make Sudanese literature , authors , topics and issues the fundamental axis of those texts.

1-1 مقدمة:

تحديات المرحلة تقتضي التدقيق فيما نقوم بتدريسه من أدب وتاريخ وثقافة لنصنع الشخصية التي نستطيع أن نظل ذات مميزات خاصة وملامح تميزها وتبرزها وتمنعها من الزوبان. أن المناهج الدراسية يجب أن تساهم في بناء شخصية وطنية قوية لها ملامحها الثقافية وشخصيتها القوية الراسخة ومميزاتها المستمدة من تاريخ وثقافة وحضارة ألامه. مع دخول العصر الحالي هناك مخاوف من انزلاق الأجيال وتبعيتها لأن العولمة وما أنتجت من منتجات تجعل على القائمين بأمر المناهج أن يحرصوا حرصاً شديداً على أن يضمنوا مناهجهم ومقرراتهم كل ما يضم الطفل إلى وطنه وما ينتمي إلى ثقافته باعتباره كياناً أصيلاً لا شخصيه هزيلة ضائعة الملامح. أن البلدان في ضوء العولمة وتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال انقسمت إلى مجموعتين تشمل المجموعة الأولى البلدان المنتجة للمعلومة في شكل اكتشافات علمية في مختلف الميادين، واختراعات لالات جديدة غير معروفة من قبل، وضع تقنيات حديثة، ووضع استراتيجيات مبتكرة، وطرائق عمل لتلبية حاجات الشعوب والمجتمعات. ويؤكد المتخصصون بمجال التسويق، أن بيع هذه الاكتشافات والمعلومات والتكنولوجيا الحديثة يرافقه في ذات الوقت تمرير، أو قل بيع غير معلن لثقافة المنتج ولعاداته الحياتية، وللغته، ولدينه، ولاملاح شخصيته، ولاتجاهاته. ومن ضمن المشترين لهذه البضاعة، الدول والمجتمعات غير المنتجة لها، فتستهلكها، وفي ذات الوقت تستهلك ثقافة المنتج، وعاداته، ونمط

حياته على حساب ثقافتها الوطنية، وعاداتها، وتراثها، وحتى لغتها في بعض الأحيان. والحاصل تراجع تدريجي للشخصية الوطنية في مختلف مكوناتها، وإهدار لثقافتها وحضارتها، وتاريخها. فالعلاقة بين المنتج والمستهلك علاقة هيمنة الأول على الثاني بكل هدوء، ذلك لأنها مبنية على إشباع الحاجة لدى المستهلك¹. حاليا في السودان هناك صيحات من تراجع الروح الوطنية، وتأخر القومية، ودعوات لإدخال التربية الوطنية ضمن مقررات المدارس كمادة منفصلة. فما دور الأدب في المدارس الثانوية في بناء الشخصية السودانية؟ ما حال الأدب الذي يدرس اليوم في المدارس الثانوية في السودان؟ هل يعمل على بناء الشخصية السودانية وتميزها وتمسكها بثقافتها وحضارتها؟ هل يعمل على بناء أمة؟ شعب له سماته ومميزاته؟ هل يعرض تجربة أبناء البلد عظماءهم، علماءهم، حكماؤهم، إنجازاتهم، مفاخرهم، مناقبهم، مساوئهم، خاسائهم، مبادئهم، عاداتهم، تقاليدهم، قيمهم، أخلاقهم، كياناتهم وهويتهم يعرض تراثهم؟ هل يعمل على نمو وتعزيز الحاسية الوطنية؟ وباختصار هل يناقش كل ما يخصهم كمجموعة ذات خصوصية يعرف بالبيئة المحيطة بهم؟ اذن كيف يمكن التحكم بوسائل تعريف الذات الاجتماعية في الزمان والمكان؟

2-1 أهمية الدراسة:

هذا البحث يوضح دور الأدب في غرس الروح الوطنية، ويبين مدى التصاق مقررات المطالعة والأدب للمرحلة الثانوية بقضايا البلد والبيئة والثقافة والحضارة السودانية. وبذلك فهو يعمل على تنبيه القائمين على امر التربية والمناهج للانتقادات الى مواطن الخطر فيما يخص الوطنية والقومية.

1-3 أهداف الدراسة :

- كشف وضعية الأدب المعروف فيكتب المطالعة والأدب للتعليم الثانوي من حيث تناوله وعرضه للثقافة والبيئة السودانية، وما يضم الطفل الى وطنه.

- بيان دور الأدب في بث الوعي القومي ومساهمته في بناء الشخصية السودانية.

- اقتراح بعض السياسات التعليمية لتدريس الأدب في المدارس السودانية.

1-4 فرضيات الدراسة:

- ما مدى اشتمال مقررات المطالعة والأدب للصف والاول والثاني والثالث الثانوي على الموضوعات التي تتناول قضايا سودانية، او كتبها سودانيون؟

- ما الدور الذي يجب ان يطلع به الأدب في بث الوعي القومي ونشوء الحاسية الوطنية؟

- أي السياسات التعليمية يمكن تبنيتها لتقوية دور الأدب في بعث الروح الوطنية؟

- ما المعالجات التي يمكن القيام بها لتعزيز دور الأدب في تكوين الذاتية والكينونة الوطنية؟

1-5 منهج الدراسة:

سيقوم البحث بتحليل كتب المطالعة والأدب للمرحلة الثانوية في السودان لمعرفة مضامينها القومية ومدى مساهمتها في بناء الشخصية السودانية الاصلية. كما سيقوم الباحث بالاطلاع على بعض المراجع لبيان دور الأدب في اعلاء الاماني القومية، والسياسات التعليمية الضرورية لبلوغ تلك الاماني. سيقسم الباحث الموضوع الى عدة عناوين يعرض من خلالها آراء لكتاب تناولوا الموضوع ثم يناقش تلك الآراء فيما يخص دور الأدب في المدارس الثانوية. اخيرا سيقوم الباحث بعرض ما توصل اليه من نتائج لتلك التحليلات والمناقشات ويقدم توصياته لمعالجة الموضوع.

¹ البرنامج العربي لتحسين جودة التعليم ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حقبة تربية في مجال كفايات القرن 21، ص42

سيقوم البحث بعرض غايات التربية السودانية، واهداف المدرسة الثانوية، واهداف اللغة العربية ومفرداتها في المرحلة الثانوية باعتبارها الموجهات الاساسية لبناء محتويات كتب اللغة العربية. فلسفة وغايات التربية السودانية¹ :

في ضوء المتغيرات التي يمر بها السودان والعالم من حوله وتأسيساً على توجهات الدولة التي تهدف إلى تنشئة جيل مؤمن بربه منفعل بقضايا وطنه معد إعداداً قوياً لبناء سودان الغد متميز في شخصيته بين الشعوب، في ضوء ذلك كله كان لا بد من أن تتبنى الدولة غايات للتربية في السودان تعكس فلسفتنا التربوية. وأن تكون هذه الغايات حاكماً لكل مؤسسات التوجيه التي تقدم رسالة تربوية للشباب وأن تهتدي تلك المؤسسات في وضع أهدافها التفصيلية بالغايات الآتية: تقوية روح الوحدة الوطنية في نفوس الناشئة، وتنمية الشعور بالولاء للوطن وتعمير وجدانهم بحبه والبذل من أجل رفعتهم.

أهداف اللغة العربية :

- 1/ ربط الطالب بحضارة أمته العربية والإسلامية ووقفه على تراثها الأدبي والعلمي والفكري بما يحفزه لحب لغته والاعتزاز بها.
- 2/ صقل قدرات الطالب وترقية مهارات اللغة التي تتصل بالقراءة والكتابة والتعبير والاستماع.
- 3/ تمليك القدرة على توظيف ما تعلمه في اللغة، واستخدام خبراته المستمدة من الخبرات البشرية في حل ما يواجهه من المشكلات الاجتماعية، والبيئية والسكانية وكل ما يتصل بحياته.
- 4/ إكسابه القدرة على استخدام المراجع والمعاجم والتماس المعلومات في مظانها.
- 5/ تنمية قدرته على التفكير السليم والنظرة الموضوعية إلى الأشياء والحكم الصحيح عليها.
- 6/ تدريبه على البحث والاستقصاء والتلخيص والموازنة والمفاضلة وإبداء الرأي فيما يقرأ.
- 7/ صقل أذواق الطلاب ووقفهم على مواطن الجمال في لغتهم وتنمية مواهبهم وحفزهم علي الإبداع فيما يكتبون والاستمتاع بما يقرؤون.
- 8/ تزويد الطالب بالقدرة على تتبع ما يسمعه واستخلاص الأفكار الجوهرية منه.
- 9/ وصل الطالب بماضي أمته وحاضرها وتحقيق انتمائه العربي والأفريقي .
- 10/ تنمية روح البحث والاطلاع لدي الطالب وحفزه علي التنقيف الذاتي .

أهداف المدرسة الثانوية²:

- 1/ تمكين الطالب من معايشة القيم الدينية والاجتماعية التي تربي عليها في المرحلة السابقة.
- 2/ تزويد الطالب بثقافة متنوعة عن جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وضروب العمل المختلفة.
- 3/ إتاحة الفرصة للمقدرات الخاصة والميول الفردية بالتشكل والنمو بصورة أفضل.
- 4/ إعداد القطاع الأكبر من الطلاب للدراسة المتخصصة في الجامعات والمعاهد المتخصصة.
- 5/ نشر المعرفة العملية والتقنية بين جيل الشباب.
- 6/ المساهمة في تطوير البيئة الاجتماعية للمجتمعات المحلية.

¹المركز القومي للمناهج والبحث التربوي: وثيقة التعليم الثانوي، ص ص (20-21)
²الوثيقة الثانوي، المرجع السابق، ص ص (69- 71)

مفردات اللغة العربية

أولا الأدب وتاريخه: الصف الأول: العصر الحديث ، الصف الثاني: العصر العباسي ، الصف الثالث: العصر الجاهلي / العصر الإسلامي / عصر بني أمية.

أغراض التعليم: في الفترة الأولى للاستعمار كانت الاغراض كما حددها قرفت تتلخص في التأم الشقة بين التعليم والخدمة السياسية (الادارية) البريطانية¹، التحيز للريف، التخلي عن التلقين. يقول عبدالمجيد عابدين² "التعليم في السودان كان إلى عهد قريب وربما لا يزال كشكولياً لا يعرف التعمق ولا يتجه إلى تكوين الشخصية المجتهدة المتصرفة، وإلى الجوانب الحية المتصلة بالبيئة والمجتمع، يهدف الى التوظيف قبل التثقيف ويصد النفس عن مواصلة القراءة والاطلاع وبأخذ مادة العلم من السطح دون إمعان أو تعمق". ولذلك فالأمل معقود على المدارس النظامية والدراسات الجامعية أولاً وقبل كل شيء. ويقول محمد أحمد المحجوب وعبد الحلیم محمد³ "إن التعليم لا يفي بالغرض منه إلا إذا أعد الطلاب للكفاح في خضم الحياة ليجدوا الرزق الحلال، وفي ذات الوقت يفتح عيونهم ليروا الجمال والفن ويحسنوا تقديرهما، ويزيل غشاوة القلوب لتحب وتقدر كل نبيل من الصفات الإنسانية". إلا ان اهداف التعليم في السودان تطورت واصبحت يبينى كثير من القيم والمهارات التي رأى التربويون انها ضرورية لاحداث النهضة، وقد ظهر ذلك جليا في الاهداف التي خرج بها مؤتمر التعليم 1973م ومؤتمر التعليم 1987م.

تحليل حال السودان:

مقال محمد عشري الصديق⁴ ماذا وراء الأفق : نحن في حاجة الى الأدب الصادق الجريء، البسيط المعقول، ونحن في حاجة الى نظر جديد ننظر به الى الشرائع والآداب والفلسفة والاديان والى كافة الشئون، ونحن الى الآن لم نكن امة كما يقول لنا الغربيين ولا تزال بلادنا مجهولة لدى العالم، ولا نزال فقراء في الروح مهزلة مسنين عجافاً جائعين ضائعين بلا مال أو كيان، لا تاريخ لنا ولا فنون ولا آداب ولا علوم ولا صناعات ولا حرف، لا يزال عظاماونا هم عظماء الفتنك والحروب والتدمير، فلا شاعر ولا فيلسوف ولا كاتب ولا فنان ولا مصلح يلاقيكي تاريخ هذه البلاد، وليس بيننا من يعد من رجال العلم أو رجال العمل، وليس للسلم عندنا انتصارات كما للحرب وأرضنا سهلة واسعة جرباء ليس عليها من آثار العبقرية والنبوغ إلا النزر اليسير. فهل تغير هذا الحال الذي وصفه الصديق؟ واقع الحال يقول ان الوضع قد تغير قليلا، ولكن هل هذا التغيير مقبول؟ لقد علت الاصوات في الآونة الاخير تنبه الى ان البلاد في خطر داهم نتيجة لضعف الروح الوطنية، ازدياد النزعات العنصرية وهجرة يومية للشباب والعقول، وتغيير اللون البشرية، وتقليد الآخر، والثقة في الاجنبي ورفض الوطني، بل ووصل الحد ان انفصل جزء من الوطن.

احتياج السودان لنوع معين من الادب:

ان السودان في هذه المرحلة التي يمر بها والمخاطر التي يتعرض اليها في حاجة الى طرق واساليب تعيد التوازن الى المجتمع وتحافظ عليه متماسكا يستفيد من افكار وجهود ابناؤه ويظلوا له مخلصين. تدريس الادب واحدة من الطرق التي يمكن عن طريقها تهذيب النفوس وترقية الذوق وبناء الشخصية، فأى نوع من الادب يحتاجه السودان ليضمه في مناهجه؟. لقد ربط محمد أحمد محجوب وعبدالحليم محمد الادب بالوطنية ويظهر ذلك في قولهم "إن الأدب الخالص والفن الرفيع لن يزدهرا في بلد ناشيء، ولن يكون لهما شأن غير أن يوقظا الشعور ويذكيا نار الوطنية⁵. ويرى قرفت¹ ان للادب مردود ايجابي تجاه القيم الدينية والقومية حيث قال " كنا نتعلم من مدرسينا في

¹ ف.ل. قرفت: تجربة في التعليم، دار جامعة الخرطوم للنشر 2014م، (ص 45)

² عبدالمجيد عابدين: دراسات سودانية، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم 1972م (ص 74- 75)

³ محمد أحمد محجوب وعبد الحلیم محمد: موت دنيا، مطابع الاهرام التجارية، مصر 1986م (ص 40)

⁴ علي الملك: مختارات من الادب السوداني، (ص 31)

⁵ محمد أحمد محجوب وعبدالحليم محمد: مرجع سابق (ص 138).

المرحلة في المرحلة الاولية ومن اولئك الذين يأتون البنا في فرق التمرين، ما هو الشيء الذي من المرجح ان ينجذبوا اليه، ما الشيء الذي سيدرسونه عن اقتناع. اي شيء ذو جاذبية بالنسبة لهم يمكن ان يساعد في تدريس اللغة العربية: أي مثل تشير الى الاسلام أو تطور القومية السودانية. يقول اللورد هيلي في كتابه مسح افريقيا مشيرا الى المجتمعات الحديثة المتجانسة ومستقرة نسبيا"في مثل هذه المجتمع فان الوظيفة الرئيسية للتعليم هي المحافظة على استمرارية الحضارة، وذلك بان تنقل للاجيال ليس فقط المعرفة المتراكمة بل المعايير المكتسبة من القيم والسلوك². وهكذا فانه يمكن ملاحظة ان كل الدعوات تؤكد ضرورة التركيز على الوطنية والمحافظة على المكتسبات الحضارية ونقلها من جيل الى جيل. وبذلك فأناالسودان يحتاج الى الادب الذي يحمل هذه القيم ويعليها.

القومية:

قال قرفت: في بداية التعليم الغربي في الاقطار غير الغربية كانت الجاذبية للتلاميذ غالبا مادية صرفة. ان التعليم وسيلة لتحسين وضع المرء للحصول على وظيفة. لكن قبل مرور وقت طويل اختلط مع هذا الدافع آخر اقل انانية، هو تأمين معرفة كافية (وعليه سلطة) لتحرير القطر من الاجنبي والحصول على الذي يبدو ان يكون المساواة مع بقية الامم في العالم. هذه الرغبة المتقدمة بالقدر الذي تحمله من الايثار، ذات قوة كبيرة كقوة دافعة يتجاهلها التعليم. لم يكن الجدل حول اذا ما تدرس التربية الوطنية كمادة منفصلة أم لا، كان حول إذا ما كان واجبا تمكين المدرسين وكبار التلاميذ من معرفة ان تعليمهم يهدف عن قصد للمساهمة في الاماني القومية. اعتقد انه يجب تمكينهم هدفنا ان نجعل التعليم يساهم بعدد من الطرق. على سبيل المثال في مقرر الجغرافيا الذي درس مبكرا في السنة الثالثة الاولية، كان هدف القصص عن كيف تعيش الاسر في مناطق مختلفة من السودان خلق شعور بالتفهم والتعاطف بين السودانيين بالرغم من اختلافاتهم. قوبل هذا الهدف باستجابة فورية من المدرسين وثناء من سودانيين بارزين شرح لهم الهدف. قبل ذلك في السنة الثانية، نظمت زيارات لتشكيلة من المواطنين الذين يخدمون المجتمع عندما تم ادخال الواجبات (الطرق التي يمكن ان تساهم بها) ليس فقط الحقوق³. باخذ مثال من الطرف الاخر كان نقاشنا مع المدرسين حول الاخلاق والتدريب الخلقية تركز على أي الصفات يُحتاج اليها أكثر في أمة ناشئة. بالطبع كان لتلك الافكار والمواقف والانشطة أكثر من قيمة وطنية وفي ظروف واوقات اخرى يبني المرء جاذبيتها الاولية على الدين، الافتخار بالماضي، أو حتى المصلحة الذاتية. اذن للدين والافتخار بالماضي والمصالح الذاتية دور في الجاذبية واثارة الدوافع للتعلم والمساهمة في نمو الاماني القومية والوطنية. هنا يمكن السؤال عن ان ايراد الادب الاجنبي هل يبعث في نفس الطالب تساؤلات عن لماذا لم يتم تناول الادب السوداني؟ هل هناك ادب سوداني ينطرق لمختلف الجوانب التي يتناولها الادب؟ أم انه يقتصر على اللون معينة، ولذلك تم حجبها في هذه المرحلة؟ أم انه سيء والذي عرض خير منه؟ ان الوعي في الاختيار للادب القومي وادراجه في المناهج، والمقررات، هذه العملية لن تتم الا اذا كان هناك الوعي والفكرة والخبرة والممارسة والجرأة والمبادرة والتقييم والقيادة واتخاذ القرار والحوار والمتابعة. كما يجب ان توفر الجو الذي يجعل الطالب يتفهم هذا الدور ويتفاعل معه، عندها يمكنه ان يستوعبه ليكون ذلك الدور طاقة محركة، ويستطيع الطالب ان يفهم دوره في المجتمع من خلال معرفته الدقيقة لتفاصيل ثقافة مجتمعة وتوجهات شعبه. ان طريقة عرض الادب تؤدي دور كبير في استيعاب ذلك الادب، والحماس لدراسته، ومن ثم تمثل القيم التي يحويها والتي هي بدورها قيم المجتمع التي تحمل الخصوصية التي تميز ذلك الادب والثقافة ومن ثم الشعب والامة ويعطيها لونيتها الخاصة وكيونيتها الذاتية. يقول عبد الهادي الصديق⁴ في

¹ ف.ل قرفت: تجربة في التعليم، مطبعة جامعة الخرطوم 2014م (ص 103)

² ف.ل قرفت: المرجع السابق (ص 127)

³ ف.ل قرفت: المرجع السابق (ص 177-178)

⁴ عبد الهادي الصديق: اصول الشعر السوداني، دارجامعة الخرطوم للنشر 1989م (ص 135)

في كتابه اصول الشعر السوداني ان الشاعر السوداني ظل يبحث عن عن منطقة يكتشف فيها اصول لغوية ينفذ من خلالها الى وجدان القارئ السوداني- أي اللسان القومي- ولتأكيد ذلك يقتبس قول عبد الحميد يونس عن اللسان القومي " واللسان القومي لامة من الامم العمود الفقري الذي يقيم كيانها ويربط جزئياتها ويحتفظ بجوارحها. ولهذا اللسان مكانه الممتاز في الافراد والوحدات الاجتماعية في الاطار القومي. ونحن نلاحظ انه في كتب المطالعة والادب للمرحلة الثانوي في السودان تم تناول الادب من خلال اللسان القومي - اللغة العربية والادب العربي عموما ولكن لم يتم الالتفات الى الادب السوداني الذي صنعه السودانيون في بيئة ومواقف واماكن سودانية. يقول نجوجي واثيرونغو، اللغة في خصوصيتها لا في شموليتها. يقول قرفث¹: الصفات الجيدة نحتاجها للامة الناشئة: المسؤولية المبادرة القيادة التعاون، التنظيم.

اغراض الادب واهدافه:

يقول عبدالمجيد عابدين² ان اغراض الحركة الأدبية الأولى كانت تتجه في خطوط سيرها، وفي مجالات نشاطها الى ثلاثة اغراض رئيسية: فالغرض الأول هو بث الوعي القومي في نفوس الناس فلفتوا أنظار الناس الى الأرض التي درجوا عليها، والى المجتمعات الكبيرة والصغيرة التي يعيشون فيها، والى الواقع الذي يحسونه في حياتهم اليومية الخاصة، وحياتهم في الأندية والمجالس والمدارس بشتى مظاهرها. والغرض الثاني هو تنشئة الشباب المثقف على الروح الفنية الصحيحة، فأشاعوا بما قدموا من الشعر وما أوردوا من نقد أدبي، وما تحدثوا عنه في مقالاتهم وقصصهم، روحاً تتجه الى النفوس الواعية فتهذبها، والى العواطف المتهيجة فتصلقها، والى الأدواق فتعمل على ترفيتها وتقويمها. الغرض الثالث هو نشر الدعوات الإصلاحية الاجتماعية المختلفة التي تتعلق بعادات السودانيين وإختلافهم وأساليب حياتهم. والأدب عند المحجوب وسيلة لتحفيز الأذهان وإيقاظ النيام والسبيل الى التحرر الوطني. يقول: "لقد كنا ننشد الحرية وهي عنا بعيدة ونلتمس موضعها ونحن عنها محرومون، ولهذا تعشقنا الجمال لأن الجمال هو الحرية وتعلقنا بالأدب لأن الأدب هو الوسيلة الى الحرية والتعبير عن الجمال"³. وهكذا فبالإضافة الى تهذيب النفوس وتنمية الذوق فهناك اهداف اخرى يسعى اليها الادب من قبيل غرس وتنمية الوجدان الوطنية والقومية والعمل على التحرر الوطني.

دواعي تدريس الادب القومي: ان الادب القومي هو منتج جماعة معينة لها خصوصيتها التي تميزها عن غيرها. وقد وضع ذلك محمد عشري حيث قال: كيف يسهل علينا أن نفرق بين امتين تتكلمان لغة واحدة ... إننا بعد أن نكتشف كل الفوارق وتظهر كل المميزات، ونحدد نقط التلاقي والافتراق، نشاهد ظاهرة غريبة غاية في التعقيد والصعوبة ولكنها في المحل الأول من الاعتبار نظراً لقيمتها التاريخية وأثرها في الكتابة الأدبية عموماً وفي الأدب القومي خصوصاً. والإصطلاح المقصود هنا هو طريقة التعبير الخاصة بأمة أو شعب كتلك العبارات والجمل والألفاظ، التي تلوح فيها فطرة الأمة وحيلتها⁴.

مراحل نمو الحاسية الوطنية: أن معرفة سبل القومية وخصائصها أمر راجع أولاً وقبل كل شيء، إلى تلك الحاسة القومية التي يكتسبها المرء بعد عدة تجارب واختبارات، ينتقل فيها الأديب بنفسه، وبارشاد من حوله من النقاد، بين طرق مختلفة من القول والتفكير، وبين اتجاهات متعددة من المذاهب والأساليب، حتى يهتدي في أثناء سيرة الأديبي الى نفسه ويميز باختباره الشخصي بين ما يصلح لبيئته وما لا يصلح⁵. وهكذا فان تعريض الطالب الى ادب بلاده

¹ ف.ل. قرفث: مرجع سابق (ص 178)

² عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق (ص 69-70)

³ محمد أحمد محجوب وعبدالحليم محمد: مرجع سابق (ص 57)

⁴ محمد عشري الصديق: المرجع السابق (ص 213-215)

⁵ عبد المجيد عابدين ، مرجع سابق، ص 65

ويلسان شعبه الذي يعبر عن خصوصية معينة تعكس ثقافته يؤدي الى نمو الحاسية الوطنية ويعمل على تطور القومية.

دور الادب في اعلاء القومية وغرسها: ان الأدباء الطامحين في أحياء الآداب القومية يخلق بهم أن يتعمقوا في حياة الأوساط الاجتماعية كلها وان يتأنسوا بأسلوب حياتها ويحيطون بأفكارها وامزجتها، وخفايا أفئدتها، وبألفون مثلها العليا ومثلها السفلي، وخرافاتها وأساطيرها وقصصها وإشعارها، بالاجمال كل ما يتعلق بما يدعوه الغربيون ويدرسون باسم (ادب العشب) (اراء وخواطر العشري – الادب القومي ص 215) التعبير والجمل الخاصة بشعب او امة كثيرا ما يصوغها العامة وفيها جزء كبير خاص بالمعيشة وعلائق الحياة الفردية والحياة الاجتماعية (العشري ص 213-214) ثم يصقلون ما يقدرون على صقله من حكايات وامثال وبيرونها في ادبهم محاولين رفع الجمهور الى مستواهم وتغذية مواهبه، حتي يجاوب انفعالاتهم، ويكون صدى لخواطهم، ويرضى بقيادتهم له. ومن ثم يستطيعون كتابة الأدب القومي الصحيح (العشري ص 215) . الأدب الخالد لا يجد مادته إلا في حياة الناس، والقصة لا تكون مؤثرة جديرة بالقراءة ناهيك عن أن تظفر بالخلود إلا إذا كانت وقائعها من صميم الحياة التي يحيها الناس، ويضفي عليها الأديب روعة الفن في الأسلوب والحوار ويكسوها ثوباً قشيباً من نسيج الحياة¹.

أي ادب ندرس؟- تحليل الكتب:

للقوف على ما تشتمل عليه كتب المطالعة والادب في المرحلة الثانوية في السودان، قام الباحث بتحليل تلك الكتب من خلال النظر في محتويات ومضامين الموضوعات التي اشتملت عليها، وخلصت نتائج التحليل الى الآتي:

- 1/ اشتمل كتاب المطالعة والادب الصف الاول على ثمانية وثلاثين موضوعا منها ثمانية موضوعات لكتاب سودانيين أو تصف البيئة السودانية وامور الحياة وقضايا الشعب.
- 2/ اشتمل كتاب الصف الثاني الثانوي على ستة وثلاثين موضوعا منها ثلاثة موضوعات تناولت قضايا سودانية.
- 3/ لم يتعرض كتاب الصف الثالث للسودان بأي حال من الاحوال.

السياسات التعليمية للأدب:

ان المهم في أولويات السياسة التعليمية للأدب السوداني، هو البحث عن منظور تربوي قومي تحريري فيه أنفسنا بوضوح في العلاقة مع أنفسنا ومع الآخرين في الكون. هذا يمكن النظر إليه من ناحية كتابه الأدب وأيضا بتدريس الأدب في المدارس وبالمناهج النقدية. وتعبير آخر ما دام الأدب السوداني موجود فكيف ينبغي أن نقدمه إلي الطفل وبأي طريقة؟ يتطلب الأمر هنا عمليتين: اختيار المادة، والموقف منها، أو تفسيرها. هاتان العمليتان تؤثران بالأساس الوطني والطبقي لاختيار المادة المنتقاة والموقف منها واخيراً الأساس الوطني وحتى الطبقي لاختيارات ومنظورنا سيؤثر ويتأثر بالأساس الفلسفي الذي نتظر منه إلى الواقع وهو أمر لا يمكن تجاوزه². (ص 136).

ثلاثة مبادئ رئيسية يجب أن توجه السياسات التعليمية تجاه الأدب:

- 1/ أن ثقافة شعب عنصر جوهري في تعريف نظرتهم إلي العالم. ومن خلالها يمكن تكييف العمليات الذهنية.
- 2/ أن سياسة تعليمية سليمة تجاه الادب هي التي تمكن الطلاب من دراسة ثقافة وبيئة مجتمعهم أولاً، ومن ثم في علاقتها مع ثقافة وبيئة المجتمعات الاخرى لكي تكون منابع الالهام وطنية.
- 3/ ومن اجل أن يكون التعليم المقدم ايجابياً، وذالكامكانات خلاقة لمستقبل السودان، يجب أن ينظر إليه باعتباره جزءاً جوهرياً من العملية المستمرة للتحرر الوطني والوصول الى القومية.

¹ محمداحمد محجوب وعبدالعليمحمد: مرجع سابق(ص102)

² نجوي واثيرونجو: تصفية استعمار العقل ، مؤسسة الابحاث العربية لبنان 1987م(ص 136)

كيفية الاختيار: ينبغي أن تتوفر في الاختيار الموازنة بين الجودة الأدبية، والصلة الاجتماعية، ومتعة السرد. الغاية أن نغرس في الطالب حباً نقدياً يشجع متابعته في السنوات اللاحقة، ويضمن أن هذه المتابعة ستكون مثمرة باعتبار طبيعة المجتمع السوداني، نوصي بتوجيه الانتباه إلى الأدب المعبر عن مجتمع يتغير، وبتأمين أن يشمل هذا، تنوع تجربة مختلف طبقات المجتمع¹.

النتائج:

بالنسبة للسؤال الأول: ما مدى اشتغال مقررات المطالعة والادب للصف والاول والثاني والثالث الثانوي على

الموضوعات التي تتناول قضايا سودانية، او كتبها سودانيون؟ اتضح:

1/ كتاب المطالعة والادب الصف الاول اشتمل على ثمانية موضوعات لكتاب سودانيين أو تصف البيئة السودانية وامور الحياة وقضايا الشعب، بنسبة 21% من اجمالي موضوعات الكتاب.
2/ كتاب الصف الثاني الثانوي اشتمل على ثلاث موضوعات تناولت قضايا سودانية، بنسبة 8% من اجمالي الموضوعات.

3/ لم يتعرض كتاب الصف الثالث للسودان بأي حال من الاحوال.

4/ ما تم تناوله من موضوعات تتحدث عن الوطن وحياة الناس وثقافة الشعب، خاصة في كتاب الاول الثانوي، فيه اشارات واضحة ان هناك ادب يحمل الثقافة وملامح المجتمع، وانه اذا تم تكثيفه وتعزيزه، سيكون له دور كبير في نشوء وتغذية الروح القومية والوطنية وابرار المثل العليا.
5/ غيبش المنظور الوطني.

السؤال الثاني: ما الدور الذي يجب ان يطلع به الادب في بث الوعي القومي ونشوء الحاسية الوطنية؟ يتضح:

1/ ان يكون الادب وسيلة للحرية- ان تكون مادته من حياة الناس - الحكايات والامثال.
2/ يمجذ العظماء ويبرز دورهم، ينشئ ويستلهم طريقة التعبير الخاصة بالشعب.
3/ يعمل على تغذية مواهب الجمهور.
4/ يقوم بصياغة وصقل علائق الحياة ويبرزها لرفع مستوى الجمهور.
5/ يعمل على نمو الاحساس بالكيان والذاتية.
6/ يستخلص الصفات الحيدة التي تحتاجها الامة ويعرضها في ثوب قشيب.
7/ رفع وابرار رغبة المساواة مع العالم والتحريض عليها كقوة دافعة للتعلم.
8/ تقوية روح الوحدة الوطنية في نفوس الناشئة وتنمية الشعور بالولاء للوطن.
9/ ابراز المثل التي تشير الى الاسلام وتطوير القومية السودانية والاماني الوطنية والاتجاهات والطرق المختلفة من القول والتفكير والاساليب والمذاهب وعرض ما يصلح وينتمي للبيئة.

السؤال الثالث: أي السياسات التعليمية يمكن تبنيها لتقوية دور الادب في بعث الروح الوطنية؟

من خلال ما تم ايراده من آراء فقد وجد الباحث ان خير السياسات التعليمية التي يمكن ان تفيد السودان في هذه المرحلة هي السياسات التي تركز على تدريس الادب والثقافة والقضايا السودانية والتي تصف البيئة السودانية وتعلي الاماني القومية وقضايا التحرر الوطني، وتدفع الطالب للتطلع للمساواة مع العالم.

السؤال الرابع: ما المعالجات التي يمكن القيام بها لتعزيز دور الادب في تكوين الذاتية والكيان الوطنية؟ اتضح:

1/ ينبغي تدريس الادب السوداني لأنه يحمل آثار القومية في ثناياه.

¹نغوجي واثيرونغو: مرجع سابق(ص149)

- 2/ الاهتمام بدور المدرسة الثانوية في أخذ الريادة في استلهاهم ادب الشعب والتعبير عن ثقافته.
 - 3/ عمل برنامج لتكوين الشخصية المجتهدة لمحاربة الكسل والتعمق في الجوانب الحية المتصلة بالبيئة والمجتمع.
 - 4/ ابراز العضاء من السودانيين في المحالات المختلفة والتعريف بإسهاماتهم لتفاخر بهم الاجيال وتقتدي.
 - 5/ الوعي الى ان ما يصنع امة هو طريقة التعبير الخاصة بها والتي تلوح فيها فطرة الامة وحيلتها.
 - 6/ توجيه السياسات التعليمية ناحية ما يعزف الطفل بتجربة شعبه وحكاياته وأمثاله ومثله العليا.
 - 7/ ان تتوفر في الادب لمقررات المرحلة الثانوية الجودة الادبية والفنية والصلة الاجتماعية ومتمعة السرد.
 - 8/ الانتباه الى الادب المعبر عن مجتمع يتغير وان يشمل تجربة مختلف طبقات المجتمع.
 - 9/ أن يكون الادب السوداني مركز تدور حوله الاداب الاخرى وينظر للاشياء حسب صلته بقضايا السودان.
 - 10/ توجيه الادب نحو المجتمع والنظر في المراحل التي يمر بها الشعب والمتطلبات والفجوات.
- مناقشة النتائج:** قبل ما يقرب من مئة عام دعا محمد عشري الى حاجة السودان الى الادب البسيط الجريء، واتفق معه محمد أحمد محجوب وعبدالحليم محمد في ان للادب دور كبير في غرس الروح الوطنية وبلورة الاماني القومية. ويرغم ذلك نجد هذا الخلو الكبير لمقررات المرحلة الثانوية من ادب البلاد وبعدها عن المحلية. ان المحلية هي التي تقود الى العالمية والتميز كقومية لها مميزات الخاصة وكيونتها الذاتية. وعليه فان الباحث يرى ان المعادلة جاءت مقلوية، فالواجب كان ان يتم تدريس الادب السوداني ومن خلاله يتم التعرض لانواع الادب الاخرى جاهلي كان أم سلامي أم حديث. أي ان يتم النظر الى الاشياء من منظور سوداني، أي النظر الى الاشياء بحسب صلته بكل ما هو سوداني، يرى الباحث ان هذا ما كان يقصده محمد عشري حين قال "نحن في حاجة الى نظر جديد ننظر به الى الشرائع والآداب والفلسفة والاديان، وكافة الشؤون". هكذا يمكننا ان نصل الى المنظور التحرري والى مركزية الادب السوداني. نجد ان برنامج الادب في المرحلة الثانوية افتقر الى رغبة المساواة مع العالم والتحرر الوطني كقوة دافعة للتعليم. وهناك افراط في الميل الى العروبة والشرق وسيطرة وسيادة للادب الخارجي ما قد يؤدي الى ضياع الشخصية والاحساس بالهوية، والتعلق بالآخر وتمجيده، ورؤية المرء نفسه من خارج نفسه وبالتالي سهولة الاستلاب والذوبان أو التماهي مع الغير. ما تم استعراضه من آراء ليؤكد الدور المهم جدا للادب السوداني تكوين وتعزيز الاماني القومية والذاتية السودانية.

التوصيات

أهم توصيات البحث يجب تعديل مفردات المطالعة والادب في المرحلة الثانوية بحيث يكون الادب السوداني، الكاتب السوداني، الموضوعات والقضايا السودانية هي المحور الاساسي لمحتويات تلك المفردات.

المراجع:

- 1/ البرنامج العربي لتحسين جودة التعليم، المظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حقيبة تدريبية في مجال كفايات القرن الحادي والعشرين، بدون تاريخ
- 2/ عبدالمجيد عابدين: دراسات سودانية، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم 1972م
- 3/ عبدالهادي الصديق: اصول الشعر السوداني، دارجامعة الخرطوم للنشر 1989م
- 4/ علي المك: مختارات من الادب السوداني ..
- 5/ ف.ل. قرفت: تجربة في التعليم، دار جامعة الخرطوم للنشر 2014م
- 6/ محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد: موت دنيا، مطابع الاهرام التجارية، مصر 1986م
- 7/ المركز القومي للمناهج والبحث التربوي: وثيقة التعليم الثانوي.
- 8/ نجوي واثنوغو: تصفية استعمار العقل ، مؤسسة الابحاث العربية لبنان 1987